بعض الحالات ، وللتلاعب به وحتى إلى دمجة واستيعابه . والاستشراق ، قبل كل شيء ، هو مقالة لا تقوم بأي شكل من الاشكال على علاقة مباشرة ومطابقة مع السلطة السياسية في صورتها الخام ، بل يتم انتاجها ووجودها بالأحرى في مبادلة غير متكافئة مع أنواع مختلفة من السلطة ، ويجري تكوينها إلى درجة ما بواسطة التبادل مع السلطة السياسية (كما مع مؤسسة كولونيالية أو امبريالية) ومع السلطة الثقافية (كما هي الحال مع العلوم المسيطرة مثل علم اللغة المقارن أو علم التشريح ، أو أي علم آخر من علوم السياسة الحديثة) ومع السلطة الحضارية (كما هي الحال بالنسبة لمذاهب وقوانين الذوق والنصوص والقيم) ومع السلطة الاخلاقية (كما هي الحال بالنسبة للافكار عما نفعله « نحن » وما لا يستطيعون « هم » فعله أو فهمه كما نفهمه « نحن ») . حقا ، إن حجتي الحقيقية تعتبر ان الاستشراق هو ــ ولا يمثل تمثيلا بسيطا ــ بعد لا يستهان به من أبعاد الثقافة الفكرية ــ السياسية الحديثة ، وبفعل كونه كذلك فهو يتناول الشرق أقل مما يتناول عالمنا « نحن » .

ولأن الاستشراق يؤلف حقيقة ثقافية وسياسية ، فهو لا يقوم إذن ضمن شيء من الفراغ الأرشيفي . بل على العكس تماما من ذلك ، وأعتقد أنه يمكن أن نبين بأن ما يجري التفكير به أو قوله عن الشرق أو حتى عمله بشأن الشرق يسير وفقا (وربما يحدث ضمنها) لخطوط معينة واضحة المعالم وقابلة للمعرفة فكريا . هنا أيضا يمكننا رؤية درجة لا يستهان بها من خلال المعاني والتوسع وهي تعمل كأنها فاعلة بين الضغوط العريضة النوعية (superstructural) وتفاصيل التأليف ، إنها حقائق النصوصية. إن معظم الباحثين في حقل الدراسات الانسانية على ما أعتقد يشعرون بسعادة تامة حيال الفكرة القائلة إن النصوص توجد ضمن قرائن ، وأن هناك شيئا مثل النصوصية على نحو متبادل ، وان ضغوط التقاليد والأسلاف والأساليب البلاغية تحدد ما دعاه والتربنحامين مرة بـ « إرهاق كاهل الشخص المنتج باسم ... مبدأ « الابداعية » حيث يعتقد أن الشاعر يكون هناك في عالمه الخاص . وأنه أنجب عمله من صميم عقله الخالص »[٧] . ومع ذلك يوجد هناك تردد في الاقرار بأن القيود السياسية والمؤسسية والايديولوجية تعمل بالطريقة ذاتها على المؤلف الفرد . فالباحث الانساني سوف يعتقد بوجود حقيقة مثيرة للاهتمام في نظر أي مفسر لبلزاك ، وهي انه تأثر في **الكوميديا الانسانية** بالنزاع الذي كان قائما بين جيوفري سانت هيلير وكوفييه ، لكن النوع نفسه في الضغط على بلزاك ، وهو ضغط الملكية الرجعية للغاية ، يتم الشعور به بطريقة غامضة إنه يحط من شأن « عبقريته » الأدبية ، وبناء عليه فهو أقل جدارة بالدراسة الجدية. وعلى نحو مماثل ــ كما نجد هاري براكن ما فتيء يعكف على تبيان ذلك ــ فان الفلاسفة سوف يديرون مناقشاتهم لكل من لوك وهيوم والتجريبية دون ان يأخذوا بعين الاعتبار ابدا ان هناك صلة واضحة وصريحة لدى هؤلاء الكتاب الكلاسيكيين بين مذاهبم « الفلسفية » والنظرية العرقية ، وتبريرات الرق ، أو الحجج المؤيدة للاستغلال الكولونيالي[٨] . هذه أساليب شائعة بما فيه الكفاية تستخدمها الابحاث العلمية المعاصرة للحفاظ على نقاوتها وصفائها .

ربما كان صحيحا أن معظم المحاولات الرامية إلى تمريغ أنف الثقافة في وحول السياسة قد كانت محاولات مهاجمة للمعتقدات أو المؤسسات التقليدية على نحو فج وغير بارع . وربما كان التفسير الاجتماعي للأدب ايضا في حقل اختصاصي غير مواكب ببساطة للقفزات التقنية